مجلة المواقف للبحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ
ISSN: 1112- 7872
E-ISSN: 2600-6162
مجلد: 17 عدد: 01 جويلية 2021
العنوان: **ظاهرة الإباحية في المجتمع اللوبي القديم...** *ص.ص 553- 571.*

ظاهرة الإباحية في المجتمع اللوبي القديم من خلال النصوص الأدبية
دراسة تحليلية نقدية

ط.د فارس دعاس[1]، أ.د محمد رشدي جراية[2]
1- جامعة الشهيد حمة لخضر الوادي، faresdaas3@gmail.com
2- جامعة الشهيد حمة لخضر الوادي، med.rouchdi@gmail.com
تاريخ الإرسال: 2020/02/22؛ تاريخ القبول: 2020/03/04

The phenomenon of sexual pornography in antique Maghreb society through ancient literary texts

Critical analytical study

A. Fares Daas, B. Mohammed Rouchdi Djerraya

Abstract :

Ancient Greek and Latin literary texts are among the most important sources for the historization of the social life in antique Maghreb. One of the most prominent phenomena highlighted by these sources is the phenomenon of sexual pornography among the old lobby community. Herodotus and other ancient historians described the ancient Maghreb as morally dissolved and lacked for restrictions. Women were handled by different men in different ways reflecting the moral decay and the spread of vice; including the right of the first night, the phenomenon of sacred prostitution, sexual holidays, the right of the king, etc. Nevertheless, it is difficult to acknowledge the contents of these texts without analysis and criticism using logical arguments refuting and denying the findings of these historians; to conclude in the end that these ancient writers tried to belittle the local population and discard them from moral or civilized qualities. Hence, vigilance must be taken in dealing with such texts.

Keywords: Sexual pornography; antique Maghreb; literary texts; Libyan tribes.

الملخص:

تعد النصوص الأدبية الإغريقية واللاتينية القديمة من بين أهم المصادر التي لا نستطيع الاستغناء عنها للتأريخ للحياة الاجتماعية لبلاد المغرب القديم، ومن أبرز الظواهر التي تناولتها هذه النصوص هي ظاهرة الإباحية الجنسية وسط المجتمع اللوبي القديم، حيث وصف هيرودوت ومن تبعه من الكتاب القدامى المجتمع في بلاد المغرب القديم على أنه منحل أخلاقيا وتغيب فيه الضوابط والقيود، ووُصفت المرأة بأنها مشاعة بين مختلف الرجال، وذلك بطرق ومظاهر مختلفة تعبر كلها على الانحلال الخلقي وتفشي الرذيلة نذكر من بينها: حق الليلة الأولى وظاهرة البغاء المقدس والأعياد الجنسية وحق الملك ...إلخ، لكن من الصعب التسليم بما جاءت به هذه النصوص دون تحليل ونقد، لذا جاءتنا الفكرة لتسليط الضوء على هذه الظاهرة ومحاولة تحليلها ونقدها بحجج منطقية تدحض وتنفي ما جاء به المؤرخون الإغريق والرومان، لنخلص في الأخير إلى ضرورة توخي الحذر أثناء التعامل مع هذه النصوص لأن هؤلاء الكتاب القدامى حاولوا تقزيم السكان المحليين ونفوا عنهم كل شيء أخلاقي أوحضاري.

الكلمات المفتاحية: الإباحية الجنسية،المجتمع اللوبي، المغرب القديم، النصوص الأدبية، القبائل اللوبية.

مقدمة:

تُعتبر كتابات المؤرخين والجغرافيين الإغريق والرومان هي المصادر الأدبية الوحيدة التي خصت التاريخ الاجتماعي لبلاد المغرب القديم، ويتصدر هؤلاء الكتاب القدامى من حيث الأهمية التاريخية المؤرخ الإغريقي هيرودوت،الذي زار مصر ولوبة في حوالي القرن الخامس ق م وتوقف عند الحدود الغربية لمستوطنة قورينة الإغريقية،وقام بنقل أخبار المغرب القديم بناء على المعلومات التي سمعها من سكان

المنطقة.وكتبمصنفه الكبيرالذيخصص منه الكتاب الرابع وجزء من الكتاب الثاني للحديث عن لوبة، حيث تكلم فيهما عن القبائل والطوائف اللوبية ووصفعاداتهم وتقاليدهم وبعض أساطيرهم :Hérodote, 1850) (II.IV، ولا يقل مصنف الجغرافيا لسترابون أهمية عن ما سبقه من الكتب والمصنفات، حيث وصف هذا الأخيرالحياة الاجتماعية لسكان بلاد المغرب القديم خاصة في الكتاب الأول والكتاب السابع عشر .(Strabon,1881:I.XVII)

خصص ديودور الصقلي في مُؤَلفه الموسوم بالمكتبة التاريخية العديد من الفقرات في الكتاب الثالث والرابع عن تاريخ اللوبيين القدماء وعن بعض أساطيرهم وتقاليدهم.(Diodore de Sicile, 1934: III. IV) ومن المؤلفين اللاتينيين نذكر بلينيوس الكبير ومؤلفه التاريخ الطبيعي، هذا الأخير مكون من سبعة عشر كتابا في الفلك والزراعة والجغرافيا والمناجم والحيوانات ومختلف موضوعات العلم والفن،وتوجد في هذا المؤلف فقرات عديدة من الكتاب الخامس وفقرات من الكتاب الثالث وفقرات من الكتاب التاسع عشر والثاني والعشرين خصصت لتاريخ بلاد المغرب القديم وبعض أخبار سكانه القدماء(Pline L'Ancien, 1980: III.V.XX) ، ويبقى كتاب حرب يوغرطة لساليسيوس هو المؤلف الوحيد الذي خصص بأكمله لتاريخ بلاد المغرب القديم وغطى حرب يوغرطة والعديد من الأخبار عن عادات وتقاليد السكان المحليين وتاريخهم(Salluste, 1958) .

تبقى هذه النصوص الأدبية الإغريقية واللاتينية هي الوحيدة التي زودتنا بأخبار سكان بلاد المغرب القديم بالرغم من أنها قليلة جدا ومبعثرة ويسودها الغموض في كثير من الأحيان، خاصة أن اللوبيين القدماء لا يُذكرون إلاّ حين يتعلق الأمر بقربهم وعلاقاتهم بالحضارتين الرومانية والإغريقية، فقد كانت كتابات هؤلاء الكتاب وصفية في كثير من الأحيان مع تحيزهملشعوبهم ومحاولة تقزيم السكان المحليين، خاصة وأن كثيرا منهم يدونون أخبار سابقة لهم في الزمان وبعيدة عنهم في المكان، ويعتمدون على سماعهم للرواية الشفوية دون تحقق ونقد تاريخي مما جعل أغلب كتاباتهم يغلب عليها الجانب الأسطوري والقصص الخيالية مععديد الأخطاء التاريخية الفادحة (محمد الصغير

غانم، 2010، الصفحات 15-18)، ومن بين الظواهر المثيرة للجدل التي طرحتها هذه النصوص هي ظاهرة الإباحية الجنسية ومشاعية المرأة التي يصعب التسليم بها دون نقد أو تحقيق.

الإشكالية الرئيسة: ما حقيقة الإباحية الجنسية التي سادت في مجتمع بلاد المغرب القديم؟ هل هي ظاهرة وهمية بالغ الكتاب في وصفها؟ أم أنها واقع حقيقي مرت به الأسرة في بلاد المغرب القديم؟

أهداف البحث وأهميته: تكمن أهمية هذا البحث في أن هذه الدراسة تناولت موضوع يعد من الطابوهات التي يتجنبها جل الباحثين، وفي الوقت نفسه يعد موضوعا مهما يخص التاريخ الاجتماعي للمغرب القديم الذي حاول تشويهه الكتاب الإغريق والرومان القدامى، لذا فالهدف الرئيسي من البحث هو نقد النصوص الأدبية الإغريقية واللاتينية بأدلة منطقية ومحاولة كشف جزء من حقيقة الأسرة والمجتمع في القديم.

منهجية البحث: اعتمدت في هذه الدراسة على المنهج التاريخي النقدي، فبعد عرض الظاهرة التاريخية وأبعادها حاولت إعادة تحليلها ونقدها بحجج منطقية ومقارنات تاريخية من أجل الوصول إلى الهدف الرئيسي للبحث.

ماهية الإباحية الجنسية

تستخدم كلمة زواج للدلالة على مؤسسة اجتماعية لها أبعاد اقتصادية وثقافية ودينية تربط بين رجل أو عدد من الرجال مع امرأة أو عدد من النساء تعترف بها التقاليد وتؤطرها الشرائع، وتفرض عددا من الحقوق والواجبات لأطراف العلاقة من جهة والأبناء الذين تنجبهم من جهة أخرى، ويفرض الزواج دائما وجود علاقة جنسية يعتبرها المجتمع مباحة بين الزوجين ومن واجب كل من الشريكين إرضاء رغبات الشريك الآخر ضمن إطار معين(إدوارد وستر مارك، 2001، صفحة 29). وإذا غاب تقنين وتأطير هذه العلاقات الجنسية من طرف الشرائع والأعراف أصبح الجنس البشري يعيش في حالة إباحية أي انعدام الزواج الفردي، فرجال العشيرة والقبيلة لهم الحق في معاشرة كل النساء، والأولاد يعتبرون في هذه الحالة ملكا للمجموعة

بأكملها، وهذه فرضية أطلقها بعض علماء الاجتماع على طبيعة حياة المجتمعات البدائية.(إدوارد وستر مارك، 2001، الصفحات 97-98)
تعتبر ظاهرة الإباحية الجنسية من بين الظواهر التي طرحها بعض المؤرخين والكتاب القدامى خاصة الإغريقيين والرومان وتبناها بعض علماء الاجتماع ونسبوها بالمجتمعات البدائية التي عاشت في القديم وبعض القبائل البدائية التي لا تزال تعيش في الوقت الراهن، وقد قدموها في قالب واحد متعدد المظاهر ومن بين أهم أنواعها نذكر: الانفلات الجنسي قبل الزواج أي أن الرجال والنساء يتمتعون بحرية مطلقة قبل الزواج دون قيود أو ضوابط مثلما يحدث في غينيا الجديدة على حد قول بعض علماء الاجتماع(إدوارد وستر مارك، 2001، صفحة 119)، وكذلك مظهر آخر سمي بحق الليلة الأولى أو حق السيد وهي أن المرأة في ليلة عرسها لا تنام مع زوجها وإنما تنام مع سيد القبيلة أو مع الكاهن الذي يفض بكارتها، أو تضاجع كل المدعوين في حفل الزفاف مثلما يحدث في بعض قبائل السنغال وبعض قبائل جزر الكناري، وهناك عديدالظواهر الأخرى مثل: ظاهرة البغاء المقدس والأعياد الجنسية وإعارة وتبادل النساء ضمن إطار معين،والتي تصب كلها في خانة الإباحية والمشاعية الجنسية (A. Galindo, 1992, p. 69).

الإباحية الجنسية في القبائل الليبية القديمة:

عرض الظاهرة

أشارت مختلف المصادر الإغريقية واللاتينية إلى طبيعة حياة السكان في بلاد المغرب القديم، فلكل قبيلة عاداتها وأعرافها التي ألفتها وتعودت السير عليها، ومن بين أبرز المظاهر التي صورتها هذه المصادر قضية الإباحية الجنسية التي سادت المنطقة، أي أنّ النساء مباحةلكل رجال القبيلة دون ضابط أو قيد، والغريب في الأمر أن الظاهرة ذكرها أغلب الكتاب القدامى وتكررت عند أغلب القبائل اللوبية، الأمر الذي دفعنا للتساؤل هل أبناء اللوبيين شرعيون يولدون بعد عملية زواج تؤطرها الأعراف والتقاليد؟

توجد في النصوص الأدبية الإغريقية واللاتينية تأكيدات كثيرة عن وجود شعوب تعيش في حالة إباحية جنسية ومن بينها القبائل اللوبية

القديمة،حيث يذكر المؤرخ الإغريقي هيرودوت قبيلة الأدروماخيداي « ADORMACHIDAE »الذي وصف نساءها قائلا:«**...تضع نساء الأدروماخيداي حلقات برونزية حول الساقين كلتيهما كما يطلقن شعورهن وعندما تبلغ العذارى سن الزواج فإن الملك يزيل عذرية من يستحسنها منهن .. »** (Hérodote, 1850, IV: 168)،أما قبيلة الناسامونس « NASAMONES »فيحتم العرف على الرجل حين يتزوج أول مرة أن يهب عروسته في الليلة الأولى لكل المدعوين وتسمى حق الليلة الأولى وقد وصف هيرودوت هذه العادة قائلا:«**.....ومن عادتهم أن يتخذ كل رجل عدة زوجات، وهم يباشرون النساء دون قيد أو ضابط، فحين يتزوج الرجل لأول مرة فإنه يجب على العروس طبقا للعرف أن تضاجع في الليلة الأولى واحدا تلو الأخر جل المدعوين، ويعطيها كل رجل قام بذلك هدية أو هبة أحضرها من بيته ...»**(Hérodote, 1850, IV: 172) ، وهي نفس العادة التي ذكرها أرسطو في كتابه " السياسة " حين تكلم علىمشاعية النساء في أعالي ليبيا (Aristote, 1971, II: 13).

أشار بومبيوس ميلا إلى نفس العادة في مدينة قورينة حيث قال:«**إن تقاليدهم كانت تقضي بأن تكون المرأة في ليلة عرسها ملكا عاما لجميع الرجال الذين حضروا وحملوا معهم قطعا نقدية كافية لاكتساب حق المشاركة، وقد كان الزوج يحس بالسعادة إذا استقبلت زوجته عددا كبيرا من الحضور، مع أن النساء كن يعشن بعد الحفل حياة مثالية بالعفة والإخلاص ...»**(Pomponius Méla, 1850, I: 46)، وقد أعطيت عدة تفاسير لهذه العادة، حيث يرى ستيفان غزال أن الجماعة حين تتنازل عن حقوقها من المشاعية البدائية (حق مشاعية النساء) فإنها تمارس حقها للمرة الأخيرة. (S. Gsell,1927, p. 32)

يقول هيرودوت عن قبيلة الأوسيس«AUSEES»الذين كانوا يعيشون على ضفاف بحيرة تريتون:«**... إن هؤلاء البشر لا يعيشون كعائلات وإنما يقيمون معا مثل الحيوانات وعندما يبلغ أحدهم سن البلوغ يؤتى به إلى مجمع الرجال الذي يقام كل ثلاثة أشهر وينسب حينها للرجل الذي يشبه أكثر...»**(Hérodote, 1850, IV: 180)، وصف أرسطو اللوبيين الذين عاشوا في المناطق الداخلية قائلا:« **كان لديهم**

مشاعية النساء، وكانوا يتقاسمون بينهم الأطفال بالتشبيه الجسدي»(Aristote, 1971, II: 13.)، وفي نفس الصدد يضيف بومبيوس ميلا أنه لم يكن لأحد من الغرامنت زوجة محددة والأبناء ينسبون بالتشبيه الجسدي(Pomponius Méla, 1850, I: 8. 48).

نلاحظ من خلال هذه الفقرات أن أغلب الكتاب اتفقوا على مشاعية النساء في القبائل اللوبية القديمة وعلى أن الأطفال هم ملك للجماعة وينسب الطفل لما يبلغ إلى الرجل التي يشبهه جسديا وذلك بعد اجتماع دوري يقام في القبيلة. تكررت عادة النسب بالتشبيه الجسدي عند بعض الشعوب في العالم القديم أمثال شعوب ليبرون في البلقان الذين كانوا يمارسون مشاعية المرأة ويتكلف جميع أفراد القبيلة بتربية الأولاد حتى سن الخامسة وبعد ذلك ينسب كل واحد منهم إلى الرجل الذي يشبهه أكثر، ونفس العادة تكلم عنها هيرودوت وسترابون عند قبائل الماساجات التركستانية وعند الشعب الذي يسمى "آكلي اللبن" شمال البحر الأسود.(إدوارد وستر مارك، 2001، صفحة 101)

يذكر هيرودوت أنّ رجال قبيلة المساجيتاي«Massageta» يغرسون عصا أمام مكان إقامتهم كإشارة لدعوة النساء لمباشرة الجماع (علي فهمي خشيم، 2009، صفحة 46)، وعن قبيلة الجيندانسيعبر هيرودوت قائلا:«**تضع كل امرأة من الجيندانس حول ساقيها حلقات كثيرة من الجلد، لأنها تضع حلقة عن كل رجل اتصلت به وتشتهر المرأة التي تتصل بأكبر عدد من الرجال وتضع أكبر عدد من الحلقات ..**»(Hérodote, 1850, IV: 176)

يشير بلين القديم إلى أن الغرامنت:« Garamantes »:«**لم يمارسوا الزواج وكانوا يتنقلون من امرأة إلى أخرى دون أي قانون أخلاقي أو عرف اجتماعي**»(Pline L'ancien,1980, V: 45)، وهو ما أكد عليه سولين« Solin »حيث يرى:«**أن الغرامنتيين هم الشعوب الأكثر انحلالا وانحطاطا وخلاعة بين شعوب المنطقة، لأنه لم يكن لدى الغرامنتين أي أهمية للأبوة والبنوة ولا للزواج لأن الكل يعاشر دون قيود أو ضوابط**»(Solin, 1847, XX: 2,3)، وهو نفس الشيء الذي تكلم أحد الكتاب الفرنسيين« Y.Liébert »لما قال:«**إن انعدام الهوية**

المنسوبة للأب بالنسبة للأطفال هي صفة أخرى يتسم بها البرابرة (Y. Lébert, 2006, p. 61).»

كانت النساء يتعهرن للزوار في معبد الآلهة في مدينة سيكا حسب ما ذكر بعض الكتاب القدامى، ويرجح غزال أن مصدر هذه العادة الفينيقيين الذين نقلوها إلى بلاد المغرب، وهو ما يعرف بالبغاء المقدس « laprostitution sacrée»، وهي أن تقوم النساء بالتضحية بأعز ما تملكن من أجل إرضاء الآلهة، وهي من المعتقدات المنتشرة في الشرق القديم إلى سواحل البحر الأبيض المتوسط، و مضمونها أن تقيم الفتيات العذارى في المعبد أو على شاطئ البحر ويُعاشرن كل من يتقدم إليهن(S. Gsell,1927, p. 33) ، ونفس العادة انتشرت في مدينة بابل والتي جاءت على لسان هيرودوت الذي وصفها قائلا : «**..إن أكبر المخزيات في بابل شعيرة تقليدية مضمونها أن تقيم كل امرأة في معبد أفروديت مرة واحدة في حياتها وتجامع أي غريب يتقدم لها..**»(Hérodote,1850, 1: 199)

يتحدث الباحث كرفخال«M.Caravajal»عن مدينة قديمة جدا تقع جنوب مدينة فاس المغربية: «**يوجد فيها حسب بعض الكُتاب الأفارقة معبد كبير كان الرجال والنساء يقيمون فيه علاقات إباحية في ليلة معينة من السنة بعد تقديم الأضاحي وإطفاء الأنوار، ولم يكن للنساء المشاركات في الليلة الحق في النوم مع أزواجهن إلا بعد التأكد من أنهن لم يحملن، أما الأولاد الذين يتم الحمل بهم في تلك الليلة قد كانوا منذورين لخدمة المعبد، ولكن العرب المسلمين قد هدموا هذا المعبد بعد أن فتحوا بلاد المغرب**» (M. Caravajal,1922, IV, vol II: 163)

يصف نيقولا الدمشقي«Nicola de Damas»عادات إحدى القبائل الليبية التي تتزامن مع موسم البذر:«**يقام احتفال لا يشارك فيه إلا الرجال والنساء، وعقب اختفاء نجوم الثريا وبعد تناول العشاء يذهب الرجال إلى النساء اللواتي يكن قد اعتزلن لهم كل واحدة على حدة، ويقع كل واحد على من يجدها منهن**»، وحسب فنتر ودوكري فإن الظاهرة استمرت في بعض القبائل الليبية والغرض هو التيمن بموسم زراعي خصيب(F. Decret et M. Fantar, 1981 , p. 247).

لم تخل مصادر العصر الإسلامي في المنطقة من ذكر ظاهرة مشاعية المرأة في بلاد المغرب رغم أن الإسلام يحرم مثل هذه الممارسات خوفا من اختلاط الأنساب، إلا أن ابن بطوطة يذكر عادة غريبة في قبيلة مسوفة المقيمة بايوالاتن، حيث قال: «**رأيت رجالهم لا يغارون على نسائهم ولكل منهن صاحب تخلو إليه في حضور أو غياب زوجها دون إعراض منه**»(ابن بطوطة، 1992، الصفحات 677-678)، ويذكر البكري كذلك عادة لإحدى القبائل المقيمة في بلاد المغرب والتي تقوم بإهداء ضيفها إحدى نسائها تكريما له (أبى عبيد البكري، 1857 ، صفحة 175)، ويشير كذلك حسن الوزان (ليون الإفريقي) في القرن السادس عشر ميلادي في عين الأصنام:«**يجتمع النساء والرجال في معبد قرب مدينتهم مع غروب الشمس وبعد أن ينتهوا من تقديم القرابين يستمتع كل واحد بالمرأة التي تتواجد أمامه**»(حسن الوزان، 1983 ، صفحة 364). وفي القرن السابع عشر ميلادي يذكر ابن أبي الدينار:«**هناك حفلا ربيعيا يشرع فيه إبتداءا من الفاتح ماي في الساحة العمومية في تونس والتي تسمى ساحة الورد والتي يتم فيها حسبه ممارسة الفجور ويدوم الحفل خمسة عشر يوما**»(ابن أبي دينار، 1967، الصفحات 308-309)

ورد في موسوعة الزواج لإدوارد ويسترماك بعض التقاليد في المناطق الجبلية لمدينة فاس بالمغرب، والتي تقضي بأن يحضر العريس وبعض أقاربه من الرجال والنساء إلى بيت خطيبته في الليلة السابقة للزفاف ثميصحبونها إلى قرية مجاورة لرجل آخر يتكلف بقضاء الليلة معها ويفض عذريتها وتحمل هذه العادة دلالات يتحكم فيها المقدس وقد يكون السحر عاملا فاعلا .(إدوارد وستر مارك، 2001، الصفحات 151-152)

تؤكد أغلب النصوص الأدبية الإغريقية واللاتينية وحتى المصادر العربية عن تواجد ظاهرة الإباحية الجنسية في بلاد المغرب القديم واستمراريتها في العصور الوسطى والحديثة، حيث أنها تكررت عند أغلب القبائل اللوبية القديمة بعدة أشكال نذكر منها: التفلت الجنسي قبل الزواج وبعد الزواج مثلما كان يحدث في قبيلة الأدروماخيداي وقبيلة المساجيتاي والجيندانس (Hérodote, 1850, IV: 168) ، وظاهرة

البغاء المقدس مثلما كان يحصل في معبد مدينة سيكا (S. Gsell,1927, p. 33) وظاهرة حق الليلة الأولى مثلما حدث في قبيلة الناسمونس وفي مدينة قورينة(Pomponius Méla, 1850, I: 46) ، وظاهرة الأعياد الجنسية، وظاهرة غياب النسب الأبوي إلا بعد أن يبلغ الطفل لينسب بعد ذلك للرجل الأقرب إليه شبها مثلما كان يحدث في قبيلة الأوسيس وفي قبائل الغرامنت (S. Gsell, 1915, pp. 194-196). لكن من الصعب التسليم بمثل هذه النصوص والروايات دون نقد وتحقيق بل وجب إعادة النظر فيها وكشف جانب من الحقيقة التاريخية وهو ما حاولنا القيام به في العنصر القادم.

نقد وتحليل الظاهرة:

أخذ ستيفان غزال حيزا كبيرا في كتابه التاريخ القديم لإفريقيا الشمالية لمناقشة وتحليل ظاهرة المشاعية الجنسية البدائية في مجتمع بلاد المغرب القديم، حيث أنه يشير إلى أنّ انعدام الزواج ومشاعية المرأة ليست حكرا على سكان بلاد المغرب القديم فقط بل عرفتها شعوب قديمة أخرى حسب النصوص الأدبية، فعادة اشتراك أخوين في امرأة واحدة كانت منتشرة في الجزيرة العربية والتي ذكرت من قبل سترابون، وعادة دخول ضيوف العريس على زوجته يوم زفافها الواحد تلو الأخر بحسب السن كانت منتشرة بجزر البليار وأمريكا الجنوبية خاصة المناطق القريبة من المحيط، أما عادة تقديس العروس للملك فهي عادة وجدت في الهند وبعض مناطق أمريكا وجزر الكناري واستمرت في أوربا إلى فترة متأخرة ، أما في بلاد المغرب فيرى أنها سوى بقايا البدائية الأولى وكانت لا تمارس إلا استثناءبغرض الحاجة ولم تكن على وجه العموم، ويستدل بقبيلة أولاد نايل التي تمارس فيها بعض النساء حسب غزال مهنة الدعارة لكسب القوت (S. Gsell,1927, p. 34)، ويرى غزال أن هيرودوت حدث له خلط بين طقوس دينية معينة لا يحترم فيها عقد الزواج مثل قضاء النساء ليلتهن الأولى مع ملكهن وبين سائر العلاقات الطبيعية السائدة في المجتمع أنذاك، فظاهرة البغاء انتقلت من الطابع الديني المقدس إلى طابع المهنة والأجر. (S. Gsell, 1915, p. 3)

تشير الباحثة الجزائرية أم الخير العقون أنّ ما دونه هيرودوت يشوبه الكثير من التشويه والمغالطات وسوء الفهم أحيانا والتناقض في أحيان أخرى، فهيرودوت يتكلم عنالاختلاط بين الجنسين في معظم القبائل التي ذكرها باختلاف أشكال هذا الاختلاط، فالسؤال الذي يطرح نفسه كيف كان اللوبيون يتبنون ذريتهم وسط مجتمع ساد فيه الانحلال الخلقي وتشابكت فيه العلاقات بين الجنسين؟، وكأن هيرودوت يصف في قطيعا من الحيوانات وليس بشرا، وحتى أن بعض الحيوانات يذود فيها الذكر على أنثاه، وبعيدا عن الحلال والحرام وما جاءت به الكتب السماوية فإن المجتمعات القديمة كان يحكمها الضمير والخير والشر، وهذه المبادئ تبطل كلام هيرودوت والمؤرخين الآخرين أو على الأقل تضع حدا لمبالغته الجارفة، لأن المجتمع مهما وصل من تحضر والتزام خلقي لابد أن تكون هناك استثناءات. (أم الخير العقون، 2006، صفحة 5)

يتكرر سوء الفهم والخلط عند هيرودوت في العديد من المواقع، فهو يتهم قبيلة الأوسيس بشيوعية النساء بينهم وقال أن الطفل عندما يكبر كان يعرض على مجلس القبيلة التي تقرر نسبه لأقرب رجال القبيلة شبها، وهذا القول لا يتفق مع ذكر هيرودوت نفسه اهتمام نفس القبيلة بالمحافظة على عذرية بناتها، وهذا يظهر في الحفل الذي يقيمونه سنويا للربة أثينا، لذا قال في هذا الصدد:«**...كان المخلوس والأوسيس ينزلون على ضفاف بحيرة تريتونيس ويقيمون حفلا سنويا للربة أثينا، تنقسم فيه العذارى على فريقين يحارب أحدهما الآخر بالحجارة والهراوات وتعتبر الفتيات اللاتي يمتن متأثرات بجراحهن غير عفيفات أو أن عذريتهن مزيفة..** » (Hérodote, 1850, IV: 180)، وهذا النص يؤكد أن السكان كانوا يولون أهمية لعذرية الفتاة، والربة أثينا فقط من تستطيع كشف تلك الفتيات ومدى صحة عفتهن.

يطابق كامبس بين هذه الرواية وحفل كان يقام في قريتي غات وبركات في فزان بليبيا في 27 رمضان من كل سنة ويسمى عيد الملح، حيث تجتمع الفتيات وهن يرتدين أجمل الثياب ويقمن بتمثيل معركة تحت إيقاع الموسيقى وكل واحدة منهن تحمل عصا وسوطا

ويتظاهرن بالاشتباك ثم تشرع ثلة من النساء الكبيرات في السن من فحص عذرية الفتيات أمام الملأ، وكان هذا الاحتفال ذو أهمية كبيرة عند الأهالي في المنطقة، وينوه كامبس إلى هذا التطابق بين الحدثين الذي يفصلهما 24 قرن ويؤكد أن رواية هيرودوت تؤكدها الإثنوغرافية الحديثة. (كامبس غابريال، 2009، الصفحات 32-33)

يذكر هيرودوت العادة الغريبة بقبيلة الأدروماخيداي دون بقية القبائل وهي أنه من الضروري عرض الفتيات المقبلات على الزواج على ملك القبيلة ليختار من تروق له ليفض بكارتها (Hérodote, 1850, IV: 168)، فمن المحتمل حسب مصطفى كمال عبد العليم أن هيرودوت أو من نقل عنهم قد أخطأوا فهم ما كان يحدث في القبيلة، إذ ربما كان الملك يختار لنفسه زوجات من بين فتيات القبيلة حديثات السن القادرات على خدمته، وكان يشترط الحسن وأن تكون الفتاة محافظة على بكارتها، وقد يكون لهذه العادة اتصال بالناحية الدينية وأساسها الخوف من تحمل مسؤولية فض البكارة ولابد من ترك هذه المهمة للملك صاحب السلطة الدينية (مصطفى كمال عبد العليم، 1966، صفحة 70).

أما العادة التي ذكرها في قبيلة الجيندانس وما تفعله النساء فيها بأن تلبس حلقات الجلد حول ساقيها بعدد الرجال الذين اتصلت بهم (Hérodote, 1850, IV: 176)، فمن الصعب حسب مصطفى عبد العليم الأخذ بهذا القول و تطبيقه على سائر النساء فيبدو أنّ هؤلاء النسوة امتهن حرفة الدعارة لكسب القوت فمن الصعب أن تسود هذه المظاهر في مجتمع كان يقدس السلف والأجداد كما روى هيرودوت عن الناسمون، فلابد أن يكون قائما على نظم الزواج وروابط اجتماعية معينة يمكن من خلالها تتبع تسلسل النسب بين أفراد المجتمع (مصطفى كمال عبد العليم، 1966، صفحة 70)، وهناك بعض الفقرات من الكتاب الرابع لهيرودوت نفسه يؤكد فيها اهتمام القبائل اللوبية بشرعية أطفالهم مثل قبيلة البسولويالذين كانوا يعرضون الصبي حين ولادته لعضة الأفعى، فإن لم يمت كان هذا دليلا على شرعيته وأنه منهم(Hérodote, 1850, IV: 183).

يصف بلينيوس الكبير الغرامنت بصفات مشينة خاصة لما يقول أنهم لا يمارسون الزواج ويعاشرون نساءهم مختلطين وأنهم يعيشون عراة ويأكلون على لحم الثعابين ويصدرون أصوات كالصراخ، وكأنه ينفي الصفة الإنسانية عن أفراد قبائل الغرامنت، وما يؤكد أن كلام بلين يشوبه الكثير من المغالطات والخرافات هو حينما قال في الفقرة نفسها عن قوم يدعون البليميين أنهم دون رؤوس وأفواههم وعيونهم ملتصقة في صدورهم، ووصف أفراد قبيلة الساتير على أنهم لا يشبهون البشر إطلاقا، وشبه أقدام قبيلة الهيمانتوبوديس بالسيور الجلدية وعلى أنهم يزحفون ولا يمشون (Pline L'ancien,1980, V: 8)، كلها صفات وأقوال لا يتقبلها المنطق والعقل وتؤكد بصفة واضحة مدى مصداقية هذا الكاتب في نقل المعلومات!!

تذكر العديد من المصادر الأدبية والأثرية ظاهرة الزواج في بلاد المغرب القديم، مثلما جاء في نقوش الكرنك في عهد مرنبتاح وفي اللوحة الحجرية التي تعود لعهد الملك أمنحوتب الثالث أنّ " مريي بن دد " أمير قبيلة الليبو صحب زوجته و ستة من أولاده إلى الدلتا، لذا فالزواج هو الصفة الرسمية للعلاقة بين المرأة والرجل في قبيلة الليبو وزوجة الملك هي الزوجة الأولى في القبيلة (مصطفى كمال عبد العليم، 1966، صفحة 38)، كما أن هيرودوت حضر مناسبتين للزواج أُحتفل بهما علانية عند كل من قبيلتي الناسمون والأدريماخداي(Hérodote, 1850, IX: 168.172)، وأشار ساليستيوس إلى زواج يوغرطة من ابنة بوخوس رغم أنه زواج سياسي أكثر منه ارتباطا إلى أنه يبقى يعبر على فِعل الزواج(ساليستيوس، 2007 ، صفحة 143)

يروي سترابون أن الملك بوخوس وبعد حملاته على بلاد الإثيوبيين أرسل عديد الهدايا إلى زوجته قبل عودته (Strabon,1881, XVII: 3.5)، وهذا إن دل عن شيء فإنما يدل على حبه لزوجته ووفائه لها وأيضا يبرهن على متانة أواصر العلاقة بين الزوجين.

عرف الملوك والسكان على حد السواء الزواج بجيرانهممن الوافدين، حيث يذكر ساليستيوس في معرض حديثه على مدينة لبدة الكبرى**: «إن سكانها قد حافظوا على أخلاقهم وقوانينهم لكن لغتهم تغيرت**

جراء التزاوج مع النوميديين»(ساليستيوس، 2007 ، صفحة 98)،وتكلمت بعض المصادر الأخرى(S. Gsell,1927, p. 44) عن الإقليد بوغود الذي تزوج من إغريقية تسمى« Euncé »، والأمير النوميدي أوزالسيس« Oezalcés »عم ماسينيسا الذي تزوج من امرأة قرطاجية يُرجح أنها ابنة أخ الأمير القرطاجي حنبعل (F. Decret et M. Fantar, 1981 , p. 59)، وتزوج سيفاكس الأميرة القرطاجية سفونيزبة.(S. Lancel,2000, p. 305)

يعبر تشارلز دانيليز عن ظاهرة الإباحية الجنسية على أنها من قول مؤلفين رومان ويونان كانوا معتادين على الزواج الأحادي والاقتصار على زوجة واحدة، وربما ذلك الكلام كان عبارة عن سوء فهم لنظام تعدد الزوجات عند القبائل الليبية، وهذا أمر يختلف بشكل الاتصال غير المباشر بالنساء ويشهد على صحة وجود نظام تعدد الزوجات عند الليبيين(تشارلز دانيليز، 1991، صفحة 45)، ويشاركه في فكرته مصطفى عبد العليم الذي أشار إلى جهل المؤرخين الإغريق والرومان بنظام تعدد الزوجات الذي كان سائدا عند القبائل الليبية القديمة.

طُبق نظام تعدد الزوجات في بلاد المغرب منذ أقدم العصور، إذ تذكر نصوص الكرنك بأن الزعيم اللوبي " مريي بن دد " كان مصحوبا بزوجاته وعددهن اثنتا عشر زوجة(مصطفى كمال عبد العليم، 1966، صفحة 69)، ونصوص أخرى تذكر أنه كان مصحوبا بزوجته وستة من أولاده البالغين مما يعني أن الزوجة اليافعة التي صحبته لم تكن أمهم وإنما له أزواج أخريات، أما المرأة التي معه فهي سيدة حريمه وقد رافقته لصغر سنها وقدرتها على تحمل مشقة السفر(مصطفى كمال عبد العليم، 1966، صفحة 38)، وورد في فقرة من قائمة أسرى الحرب المحفورة على جدران الكرنك : «**أسرت نساء الزعيم الليبي المهزوم اللواتي جلبهن معه و كنّ اثنتي عشر امرأة** »، وأما في حرب القبائل المتحالفة ضد الفرعون رمسيس الثالث فقد أسرت342 من زوجات الرؤساء الليبيين، وتشير لوحة بعنخي أن الملك النمرود وهو زعيم ليبي من أسرة المشوش أنه أرسل زوجته " نس تنت " إلى زوجات الملك " بعنخي " لتلتمس العفو منه:

«ولما دخل بعنخي قصر النمرود أمر بأن تمثل في حضرته كل زوجات الملك وبناته ..» وهذا النص يقطع بتعدد زوجات لأن هذا الملك لوبي الأصل(أم الخير العقون، 2006، صفحة 4).

استمرت ظاهرة تعدد الزوجات على مدى تاريخ الأسرة في المجتمع الليبي القديم، حيث يذكر هيرودوت أن الناسمون اعتاد رجالها على الزواج من أكثر من امرأة (Hérodote, 1850, IV: 172)، ويذكر سترابون عن سكان ليبيا : « **...والسكان هنا على بساطة متناهية في أنماط حياتهم وثيابهم غير أن للرجال زوجات كثيرات وأولاد كثيرين ...»**(Strabon,1881, XVII: 3.)، ويذكر ساليستيوس أن النوميد والمور لكل رجل منهم عدة نساء، و أكد ذلك من خلال حديثه عن زواج يوغرطة من ابنة بوخوس(ساليستيوس، 2007 ، صفحة 88)، وتزوج يوبا الثاني من زوجتين: كليوباترا سيليني وزوجة أخرى من أصول إغريقية(D. W .Roller, 2004, p. 76).

نقل غزال عن الشاعر كلوديان الذي يتحدث في أشعاره عن زوجات الأفارقة الألف، وبالرغم من أن الرقم مبالغ في إلا أنه يبقى دليلاعلى بروز ظاهرة تعدد الزوجات (S. Gsell,1927, p. 46)، ونفس الشيء بالنسبة الغرامنت الذين كانوا يتزوجون بعدد كبير من النساء حيث كان لكل فرد منهم عدد كبير من الأولاد و يظهر أن كثرة سكان الغرامنت لكثرة النساء لدى الرجال، وتدل كثرة قبور النساء و تفوقها على قبور الرجال بالجبانة الملكية بفزان على أن كل ملك من الملوك كان له عدد لا بأس به من النساء والحريم. (محمد سليمان أيوب، 1969، صفحة 155)

يضع بعض الباحثون هذه الظاهرة في خانة المقدس المتعلق بمبدأ الخصب، التي تتخذ من الممارسات الجنسية طريقة للتعبير عنه، والتي سادت عند شعوب كثيرة في العصور القديمة فمن خلالها يتجاوز الإنسان بالفعل الجنسي شرط الزمان والمكان و يخرج من طبيعته لفترة معينة في شكل احتفال أو طقس يشرع فيه عادة في مواسم البذر أو الحصاد، وكثير من الشعوب التي تقدس الآلهة الأم إلهة الخصب والتي عادة ما تمثل بامرأة تبرز فيها أعضاءها الدالة على الخصب والتي تجسد كل القوى المنتجة في الطبيعة، وكانت تمجد بأسماء كثيرة

وكان أزواجها أو عشاقها يشاركونها في مرتبة الألوهية وتعتبر علاقاتها هذه ضرورة لتكاثر الحيوانات والنباتات كل حسب نوعه، والغرض منها إخصاب التربة وتكاثر البشر والحيوان وهذه الطقوس تقام في فترة معينة ولا نستطيع بأي حال أن نعممها على سائر شهور السنة(فارس دعاس ، 2019، الصفحات 9-18).

نفى أحد مفكري القرن الأول ميلادي قضية الإباحية الجنسية في قرطاجة وقضية الجنس المقدس وأكد أنه كان موجودا بقرطاج حاكم يدعى «Praeféctus morun» مكلف بحماية الأخلاق الحميدة والسهر على منع ومحاربة التصرفات غير المرغوبة والمخالفة لأخلاق المجتمع.(بنت النبي مقدم، 2012، صفحة 37)

رفض علماء الأنثروبولجيا مشاعية النساء في الشعوب القديمة رفضا قاطعا بناء عن مسلمات خاصة بهم، فحسبهم لم تكن هذه العادة عند أشد الشعوب بدائية ولا يمكن أن يقبل الوضع إلا إذا كان مجتمعا منحرفا تماما، ولابد أن نسلم بوجود نوع من العلاقة أو الصلة بين الأبوين تدوم طويلا أو قليلا حتى بعد ولادة الابن، ويرفض هذه الاتجاه ما جاء به المؤرخون الإغريق و الرومان ويصر على وجوب الاعتراف بتنظيم قائم وموجود تقوم عليه الأسرة ويرتبط به الأب بالابن ويرقى الإنسان بخلقه عن الحيوان. (S. Gsell,1927, p. 34)

خاتمة

من خلال ما تم عرضه نستنتج أنه يجب أن نتحفظ على قراءة ما كتبه هيرودوت ومن تبعه من المؤرخين الإغريق والرومان حول العلاقات بين الرجال والنساء في بلاد المغرب القديم، لا سيما وأن المرأة كانت لها مكانة لا بأس بها في الأسرة والمجتمع، وليس هناك ما يؤكد فرضية الوجود البدائي المشاعي في بلاد المغرب، ومنه فمن غير الممكن التسليم بما جاء به الكتاب القدامى على أن اللوبيين يعيشون مثل الحيوانات لا يعرفون الزواج والنسب والأطفال لا يعرف أباءهم وأجدادهم، بل العكس من ذلك تماما فأعراف المجتمع اللوبي القديم كانت تؤطر العلاقات الاجتماعية وتنسب الأطفال إلى أباءهم وأمهاتهم، وتشدد على عذرية وعفة الفتاة وتشجع على الزواج والتكاثر، وكل ما قيل خلاف ذلك من مشاعية وإباحية ما هو إلا

ادعاءات باطلة تعبر عن نقص فهم أو نقص إطلاع أو عن نزعة استعمارية من مؤرخين إغريق أو رومان أرادوا تقزيم السكان المحليين وإعطاء شرعية زائفة للاحتلال.

المراجع:

- ابن أبي دينار(1967)، **المؤنس في أخبار إفريقيا وتونس**، تونس، دار الهدى.
- أبو عبد الله ابن إبراهيم اللواتي الطنجي (ابن بطوطة) (1992)، **رحلة ابن بطوطة تحفة النظار لغرائب الأمصار وعجائب الأسفار**، بيروت ، دار صادر.
- أيوب محمد سليمان (1969)، **جرمة من تاريخ الحضارة الليبية**، ط 1، طرابلس، ليبيا، دار المصراتي للطباعة والنشر
- البكري أبى عبيد (1857)، **المغرب في ذكر إفريقيا والمغرب**، القاهرة، دار الكتاب الإسلامي.
- خشيم علي فهمي (2009)، **نصوص ليبية**، ليبيا،منشورات المؤسسة العامة للثقافة.
- دانيليز تشارلز (1991)، **الجرمنتيون سكان ليبيا القدماء**، ت أحمد اليازوري، طرابلس، دار الفرجاني.
- دعاس فارس، «واقع الأمومة والطفل في مجتمعات شمال إفريقيا في العصر النيوليتي دراسة من خلال مشاهد الفن الصخري بمنطقة الطاسيلي ناجر»، **مجلة عصور**، المجلد 18، عدد 1، جوان 2019، ص-ص 7-38.
- ساليستيوس (2007)، **الحرب اليوغرطية**، تر محمد مبروك الدويب، ليبيا،منشورات جامعة بنغازي.
- العقون أم الخير ،« مظاهر المجتمع والحضارة الليبية من خلال الآثار المصرية القديمة»، **مجلة الاتحاد العام للأثريين العرب**، عدد 7، القاهرة، 2002، ص – ص- 4-23.
- غانم محمد الصغير (2010)، **مقالات وأراء في تاريخ الجزائر القديم**، جزء 2، عين مليلة، الجزائر، دار الهدى.
- كامبس غابريال (2006)، **في أصول بلاد المغرب ماسينيسا وبداية التاريخ**، تر محمد العربي عقون، الأبيار، الجزائر،المجلس الأعلى للغة العربية.

- كمال عبد العليم مصطفى (1966)، **دراسات في تاريخ ليبيا القديم**،بنغازي،منشورات الجامعة الليبية.
- مارك إدوارد وستر (2001)، **موسوعة تاريخ الزواج**، ط 1، بيروت، المؤسسة الجامعية للدراسة والنشر والتوزيع.
- مقدم بنت النبي (2012)، **الأسرة في بلاد المغرب القديم خلال العهد الروماني الإمبراطوري الأعلى 27 ق م – 258 م**، مذكرة دكتوراه، جامعة الجزائر 2.
- الوزان حسن بن محمد الفاسي (ليون الإفريقي) (1983)، **وصف إفريقيا** ،ج 1، تحقيق محمد حجي و محمد الأخضر، ط 2 ، بيروت،دار الغرب الإسلامي.
- Aristote (1971), **Politique**, II, Texte établi en traduit par J. Aubonnet, Paris, éd les belles Lettres.
- Carvajal .M (1953), **la description générale d'Africa**, livre IV, paris, éd G.K.L.
- Decret .F et Fantar .M (1981), **L'Afrique du Nord dans L'antiquité (des origines au V Siècle)**, Payot, Paris, 1981.
- Diodore de Sicile (1934), **Bibliothèque Historique**, III, trad par : A.F Miot, Paris,les belles Lettres.
- Duane .W .Roller (2004), **the world of Juba II and Cléopâtre Sellne**, London, éd Taylor Francis Library.
- Gsell .S (1915), **texte relatifs à l'histoire de l'Afrique du Nord (Hérodote)**, Alger.
- Gsell .S (1927), **H.A.A.N**., tome 5, Paris, librairie Hachette.
- Hérodote (1850), **Histoires d'Hérodote**, IV, trad Parlarcher charpentier, Paris, éd librairie éditeur.
- Lancel .S (2000), **Hannibal,**Tunis, Cérès éditions.
- Lébert .Y (2006), **Regards sur la truphé étrusque**, Limoges, éd Presses univ.
- Pline L'Ancien (1980), **Histoire Naturelle**, V, trad par : J. Desakgbs, Paris, éd les belles Lettres .
- Pomponius Méla (1850), **Géographie**, I, trad sous la direction de M .Nisard, Paris,éd J. Dubochet le chevalier et clé.
- Salluste (1958), **Jugurtha**, trad : Ernout, XVII, Paris,Les belles Lettres.

- Solin, **Polyhistor**, XX, trad par M.A Agnant, Paris, éd C.E.I Panckoucke.
- Strabon (1881), **Géographie de Strabon**, I, trad par : A. Tardieu, Paris, Librairie Hachette.

للإحالة على هذا المقال:

ـ فارس دعاس ومحمد رشدي جراية، (2021)، «ظاهرة الإباحية في المجتمع اللوبي القديم من خلال النصوص الأدبية دراسة تحليلية نقدية». **المواقف**، المجلد: 17، العدد: 01، جويلية 2021، ص. ص 553- 571.